بعض المشاهدات الاقتصادية

المناطق التى ارتادتها رحلة كلية الآداب على الشاطىء الغربى للبحر الأحمر مهمة من الناحية الاقتصادية ، لأن حركة التعدين بها كثيرة النشاط لاسيما فيما يختص بزيت البترول والفوسفات .

أما زيت البترول فيرجع تاريخ استخراجه بكميات كبيرة لأول مرة فى مصر إلى سنة ١٩١٠ ، حيث حفرت الآبار فى جهة جمسة إلى عمق ١٥٠٠ قدم فى منطقة مكونة من أحجار جيرية واستمرت هذه الجهة المورد الوحيد لزيت البترول فى مصر حتى سنة ١٩١٤ . ففى هـذه السنة تعطلت حركة استخراج البترول من جمسة ونقصت كمية المستخرج منها نقصاً كبيراً ، لأن ماء البحر اختلط بكل الآبار التى حفرت فيها وأصبح زيتها خليطاً من الزيت والماء المالح ومواد أخرى مختلفة .

وفى سنة ١٩١٤ عثر على البترول فى أرض طباشيرية رملية تقع جنوب جمسة بحوالى ٥٠ كيلو متراً ؛ وقد سميت هذه المنطقة بالغردقة نسبة إلى نبات الغرقد وهو عشب ينبت بهذا المكان . وحفر أول بئر بالغردقة إلى عمق ١٦٧٠ قدماً فأنتج من البترول ١٥٠٠ طن فى اليوم ؛ ثم حفرت بجواره آبار أخرى أنتجت كميات كبيرة لازالت محتفظة بأهميتها حتى الآن ، وقامت بسبب ذلك مدينة الغردقة التى يبلغ تعدادها حوالى الأربعة آلاف نفس . وبالغردقة هضبتان شرقية وغربية . أما الغربية فهى التى يستخرج منها البترول بسبب تناسق طبقاتها وانتظام شكلها مما يجعل النقط التى يحتمل العثور على البترول فيها معروفة بصفة تقريبية قبل البدأ بالحفر .

وقد عثر على البترول فى السنوات الأخيرة بمنطقة رأس غريب التى تقع شمال الغردقة بحوالى مائة وخمسين كيلو متراً ، فأنشأت بهـا الشركة البيوت والمصانع على سـاحل البحر وما زالت حركة الانشاء قائمة إلى يومنا هـذا ؛

وتعلق على هذه المنطقة آمال كبيرة لاستخراج زيت البترول ، خصوصاً بعد أن ينضب معين آبار الغردقة وهو أمر يقال أنه سيحدث بعد عشرين عاماً على الأكثر .

وتقوم السويس على رأس الخليج المسمى باسمها قاعدة للمواصلات فتتولى عملية نقل البترول وتكريره ، رغم أنها تبعد عن مناطق استخراجه بمسافات تتراوح بين المائتين والثلاثمائة والخمسين كيلو متراً ؛ فهى رغم هذا البعد تعتبر أقرب مدينة صالحة لهذا الغرض ، وتستعمل المراكب البخارية فى أغلب الأحيان لقطع هذه المسافات ، وهذه المراكب تابعة لشركات التعدين نفسها ، وتفضل فى النقل على مراكب المصريين الشراعية ، لأنها أكثر سرعة وأقل خطرا ولأنها مزودة بآلات رفع الأثقال . وتستعمل السكك الحديدية الضيقة والسيارات لنقل المواد المستخرجة من أماكن استخراجها إلى أماكن شحنها .

ولا يكاد يوجد ماء حلو بمناطق استخراج البترول ؛ فرغم أنه حفرت آبار عميقة جداً بقصد البحث عن البترول فانه حتى فى هذه الحالات لم يعثر على الماء الباطنى الحلو إلا فى أحوال نادرة ، ولذلك تأتى بواخر النقل من السويس إلى هذه المناطق محملة بالماء العذب ، وتعود منها إلى السويس محملة بالبترول . وفى الغردقة مثلا توزع الشركة كميات الماء على الأسر بحسب عدد أعضائها . ولما كان بدو الصحراء الشرقية لا يصلحون للعمل بهذه الصناعة فقد جلبت الشركة الأيدى العاملة التى تحتاجها من بلاد الصعيد مثل قنا وقفط وغيرهما .

أما الفوسفات فهو عبارة عن رواسب جيرية مختلطة ببقايا عضوية من الحيوانات البحرية ، وتوجد هذه المادة بكثرة فى القطر المصرى فى مديرية قنا وعلى سواحل البحر الأحمر . وقد رأينا من مناطق استخراجه منطقة سفاجة ، التى أخذت اسمها من وادى سفاجة العظيم ، الذى يجرى من تلال

البحر الأحمر إلى الشرق فيقابل الساحل عند نقطة تقع على مسافة ٤٠٠ كيلو متر تقريبا جنوب السويس وعلى مسافة ٢٠٠ كيلو متر تقريباً شرق قنا . ورواسب الفوسفات التى تقوم عليها شهرة هذا المكان توجد على جانبي وادى سفاجة على بعد يتراوح بين ١٢ ، ٢٢ كيلو متراً من الساحل .

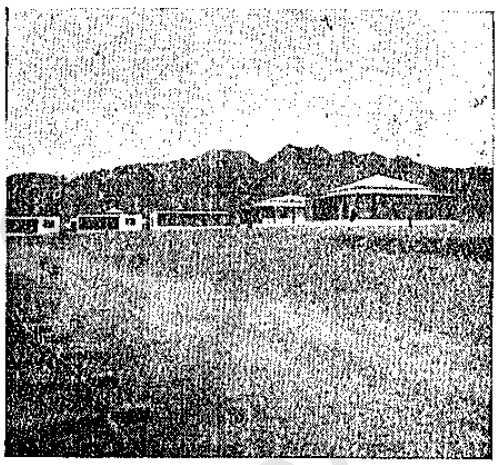

سفاجة : بعض الجبال والمنازل

ولما كانت نقطة تلاقى الوادى بالساحل لا تصلح مرفأ لرسو السفن أنشأت شركة الفوسفات ميناء سفاجة على بعد ١٣ كيلو متراً شمال هذه النقطة ، حيث يوجد خليج صغير تحميه جزيرة سفاجة التى تحصر بينها وبين الشاطىء منطقة عميقة صالحة لرسو السفن ؛ فأصبح الفوسفات ينقل بطريقة آلية إلى البواخر المحيطية مباشرة . وتوجد سكة حديد ضيقة تصل بين الميناء وبين مناجم واصف وأم الحويطات ومحمد رباح ؛ وهذه المناجم لا تقل فى بعدها عن الميناء عن ثلاثين كيلو مترا نحو الجنوب . وقد أنشأت الشركة بيوتاً لموظفيها ومصانعها عند الميناء وعند المناجم ؛ وهى لا تستورد الماء الحلو من السويس كما تفعل شركة البترول ، وإنما تحصل عليه بواسطة تبخير ماء البحر المالح ، ثم تكثيف البخار وتحويله إلى ماء حلو ، وتوجد عند ميناء سفاجة آلة تدار بالكهرباء لهذا الغرض ، ثم ينقل الماء للمنازل وللعمال فى المناجم .

وقبل أن يستخرج حجر فوسفات الجير من سفاجة كان يستخرج من الجزائر وتونس ثم ينقل إلى اليابان لتحويله إلى سماد فوق الفوسفات super phosphate ؛ ولكن هذه العملية كانت تكلف الشركات كثيرا من

الأموال فى نقل الفوسفات إلى اليابان عبر قناة السويس ، وفى دفع رسوم هـذه القناة . ولتجنب هـذه التكاليف بحثوا عنه فى إقليم البحر الأحمر حتى عثروا عليه فى عدة مناطق من ضمنها منطقة سفاجة ، التى يوجد كثير من الشبه بين المستخرج منها وبين مايستخرج من الجزائر وتونس ، ولهذا نشطت حركة استخراجه من سفاجة نشاطاً كبيرا حتى زاحمت الجزائر وتونس بسبب قربهـا من الأسواق العالمية التى تطلب هـذا الصنف بكثرة وبسبب توفير رسوم قناة السويس عند نقله لليابان .

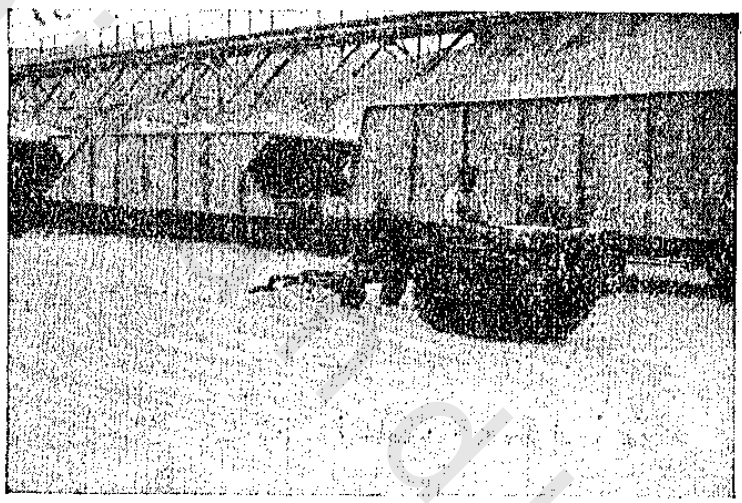

سفاجه : مصنع الفوسفات

والفوسفات الخام يحتوى على كميات من الجير تتراوح بين ٣٠ ، ٧٥ ٪ ؛ والنوع الذى يطلبه أصحاب مصانع السماد يجب أن يحتوى على أكثر من ٥٨ ٪ من الجير ؛ وقد اتضح من تحليل فوسفات سفاجة أنه يحتوى على ٦٥ ٪ من فوسفات الجير وإذا فالشرط الذى تشترطه مصانع السماد متوفر بكثرة فى فوسفات سفاجة وهذا من أكبر العوامل التى ساعدت على رواجه.

واستعمال السماد أمر ضرورى جداً لأنه يرد إلى الأرض العنـاصر التى يمتصها النبات فيحفظ لها خصوبتها ، ولما كان السماد الطبيعى لا يفى بحاجة

الزراعة الكثيفة فى مصر وجب استعمال سماد تكميلى وهو ما يعرف بالسماد الكيماوى .

والأسمدة الكيماوية أنواع ثلاثة :

(١) أسمدة أزوتية .

(٢) أسمدة فوسفاتية .

(٣) أسمدة بوتاسية .

وأهم هذه الانواع من الناحية المصرية : الأسمدة الأزوتية . فهى العنصر الذى تفتقر إليه التربة المصرية أشد الافتقار ، خصوصاً فى زراعة القلال وقصب السكر . ومن الأسمدة الأزوتية ما يمكن صنعه فى مصر مثل سلفات النشادر وسيناميد الكلسيوم ، ومنها ما لا بد من استيراده من الخارج مثل نترات الصودا الذى هو أكثر الأسمدة انتشاراً فى مصر ، وهو يرد إلينا من أعظم مورد له فى العالم وهى بلاد شيلى .

وثانى هذه الأنواع فى الاهمية الاسمدة الفوسفاتية . وهذا النوع يوجد فى الطبيعة فى صورة ثالث فوسفات الكلسيك ويصعب اتحاده بالتربة فى هذه الصورة ، ولذلك يحول بواسطة حامض الكبريتيك إلى واحد فوسفات الكلسيك وهو ما يسمى فوق فوسفات الجير super phosphate ؛ وهذا السماد مفيد لكثير من النباتات التى تزرع بمصر ، كالنباتات الدرنية مثل البطاطس والقلقاس وكالخضروات مثل الفول والعدس والحلبة والبرسيم .

وثالث هذه الأنواع فى الأهمية الأسمدة البوتاسية وهذه قليلة الاستعمال فى مصر لان التربة المصرية تحتوى على حاجتها من هذه المادة .

ويستورد القطر المصرى كميات كبيرة من الاسمدة يدفع فيها مبالغ باهظة ، ولا شك أن ارتفاع ثمن الأسمدة يصرف الزارع عن كثرة استعماله فيقل المحصول وتضعف التربة بالتدريج ؛ ولذلك يجب العمل لتخفيض ثمن السماد بصنع بعض الانواع التى يمكن صنعها فى مصر ، وبذلك تكسب البلاد

فائدتين : الاولى المحافظة على خصوبة التربة والثانية توفير جزء من المبلغ الضخم الذى يتسرب إلى الخارج كل عام ثمناً للسماد .

ففيما يختص بالاسمدة الأزوتية يمكن الانتفاع بمساقط المياه فى خزان أسوان لعمل سماد الأزوت فى شكل سينانميد الجير ، كما يمكن استعمال ملح البحر مع حامض الكبريتيك لاستخراج ملح النشادر — وفيما يختص بالأسمدة الفوسفاتية يجب العمل لصنع سماد فوق الفوسفات بمصر بدلا من تصدير الفوسفات الخام إلى البلاد الاجنبية كاليابان ثم استيراده ثانية فى صورة فوق الفوسفات ، وبالطبع نشتريه فى هذه الحالة بأثمان باهظة . والمادة اللازمة لهذه الصناعة هى حامض الكبريتيك .

وهكذا نرى أن حامض الكبريتيك لازم لصنع بعض الأسمدة الازوتية كما هو لازم لصنع الاسمدة الفوسفاتيه ؛ ولا عجب فى ذلك فهذا الحامض يعتبر أساس صناعة معظم المواد الكيمائية حتى ليقال أن درجة الرقى الصناعى لاى أقليم تقاس بمقدار ما يستهلكه من حامض الكبريتيك ؛ وهو رخيص الثمن فى محل صنعه ولكن ثمنه يزداد إلى ثلاثة أمثاله بعد نقله لانه مادة سائلة أكالة فى شحنها ونقلها صعوبة وخطورة .

وإذا كانت صناعة السماد لم تقم بمصر بسبب صعوبة الحصول على حامض الكبريتيك ، فان هذه الصعوبة يمكن التغلب عليها أما باستيراد الكبريت الخام من صقلية وقبرص وأسبانيا بثمن زهيد وصنع حامض الكبريتيك نفسه فى مصر ، وأما باستخراج الكبريت من المناجم الموجود بها فى مصر مثل منجم جبل الكبريت الذى يوجد على بعد ٧٠٠ كيلو متر جنوب السويس ولا يبعد عن ساحل البحر الأحمر بأكثر من ٦٠٠ متر . واستعمال هذا الكبريت المصرى فى صنع حامض الكبريتيك الذى يمكن استخدامه لافى صنع السماد فحسب ، وإنما فى صنع أشياء كثيرة مثل السكر والصابون والزيوت والكحول والشمع .

هناك ملاحظة أخيرة لاحظها جميع أعضاء الرحلة على مناطق التعدين التى زرناها ، وهى أن المصريين قليلو الاهتمام بأعمال التعدين بسبب تعلقهم بالزراعة وقناعتهم بربحها البسيط وإهمالهم ماعداها من وجوه النشاط القومى العام ، مما أدى إلى تركيز هذه الصناعة فى أيدى الأجانب فقاموا باستثمار هذه المناطق ولعبوا الدور الأول فيها ولم يتركوا للمصريين إلا دور الأجير الصغير . فيجب على المصريين من أصحاب رءوس الأموال أن يستثمروا أموالهم فى هذا الميدان ؛ ولا رقى لأمة يكنز أغنياؤها أموالهم ولا يخرجونها إلى ميدان المشروعات الصناعية العامة مجازفين بها ومخاطرين ، ولا شك أن وراء هذه المجازفة أرباحا هائلة وشرفا قوميا لا يقدر بمال . كما يجب على شبابنا الفنيين فى هذه الصناعات أن يهجروا المدن إلى القفار والفلوات حيث توجد مناطق التعدين ومراكز الثروة ، ولا شك أن الحكومة ستأخذ بأيديهم وتمدهم بالمعلومات وتقدم لهم كافة المساعدات ، وليذكروا أن أجدادهم منذ أقدم عصور التاريخ وفى فجر الحضارة الانسانية اهتموا باستخراج المعادن من الصحراء الشرقية ومن شبه جزيرة سيناء . فلعلنا نحذو حذوهم لاسيما وأن الأرض الزراعية قد ضاقت بنا ولم تعد تتسع لكثرتنا إذ أن مساحتها لا تزيد عن ٣١ ألف كيلو متر مربع ، فى حين أن الأراضى الغير صالحة للزراعة فى مصر وهى الصحراوات وماشابهها ، تبلغ مساحتها ٩٦٩ ألف كيلو متر مربع ولا سبيل إلى استغلالها إلا بالبحث عن المعادن .

ابراهيم احمد رشوان

بعض المراجع :

مصلحة المناجم والمحاجر : تقرير عن صناعة التعدين بمصر طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٢٤
« التجارة والصناعة : « لجنة التجارة والصناعة « « « « ١٩٢٥

John Ball : Topography and Geology of the Phosphate District of Safaga.

Ministry of Finance : Petroleum Research Bulletin No 5. Preliminary Geological Report on the Quseir—Safaga District.